

الأصوات العربية بين القوة والضعف

عند شمس الدين أحمد بن سليمان

بن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ)

في كتابه فلاح شرح المراح

The Arabic Sounds between the Strength  
and Weakness at Shamsildeen Ahmed bin Suleiman

Basha (Dead 940 A.H.) in his Book

Falaah Sharh Almarah

إعداد

د. عبد الكريم محمود علي

التدريسي في معهد الفنون الجميلة

خير الله مهدي جاسم

بكالوريوس لغة (الرمادي)





## ملخص البحث باللغة العربية

يُعدّ مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية من المفاهيم التي شغلت علماء الأصوات؛ لما تحملته تلك الأصوات من قوة أو ضعف بين أدائها العضلي (الجهد الذي تقوم به أعضاء النطق) والوضوح أو درجة الإسماع لهذه الأصوات، أي هي علاقة قائمة بين الداخِل والخارج. وبناءً على ذلك جاء بحثنا هذا للوقوف على الجهود المبذولة في هذا الصدد عند ابن كمال باشا في كتابه (فلاح شرح المراح)، فعلى الرغم من عدم استيعابه إشارات القوة والضعف بكل مضامينها لم يغفل هذين المفهومين عن حقيقة التعريف بهما، فهما مفهومان متضادان عنده، كما تبين ذلك من خلال تعريفه بصفتي الجهر والهمس وإرجاعهما إلى مفهوم القوة والضعف، فضلاً على بيان إشاراته، ومع شيء من التفصيل فيما يحقق الموازنة بما يناسب مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية أو ينسب إليهما.



### Abstract

The concept of strength and weakness of the Arabic sounds is considered one of the concepts that are studied by the phoneticians due to the fact that these sounds have strength and weakness in the efforts exerted by the articulators and the clarity or the degree of hearing of these sounds , that is the relationship between the inside and outside.

Accordingly , this research is to investigate the efforts exerted in this respect by Ibn Kamal Basha in his book (Falah Sharh Al-Marah). Although he didn't comprehend the features of strength and weakness in all their implications , he didn't neglect these two concepts since he studied them. they are two opposite concepts as shown through his definition of voiced and voiceless features and how he related them to the concept of strength and weakness besides mentioning its characteristics in details to realize the appropriateness to suit the concept of strength and weakness in Arabic sounds or what is attributed to them.



## المقدمة

لا زال البحث الصوتي يتحفنا بموضوعات ملؤها التقييم العلمي للأداء الصوتي، حتى إنه لا يحتمل فضاضة التعبير إلا بالمراقبة العلمية المترابطة، فالعلم الذي يمثل بقياسه المادي بضع (سنتمترات) لا يقوى درس مسرع على استيعاب ما ينتجه من أصوات في توظيفه للهواء الخارج من الرئتين.

ومفهوم القوة والضعف من المفاهيم التي شغلت علماء الأصوات؛ لما تحمله الأصوات من قوة أو ضعف بين أدائها العضلي (الجهد الذي تقوم به أعضاء النطق) والوضوح أو درجة الإسماع لهذه الأصوات، أي هي علاقة قائمة بين الداخل والخارج. وقد تناول الدكتور محمد يحيى سالم بحث هذا المفهوم في كتابه مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية كما تعرض إليه الدكتور غانم قدوري الحمد في كتابه الدراسات الصوتية عند علماء التجويد.

وجاء اختيارنا لكتاب (فلاح شرح المراح)<sup>(١)</sup>؛ للوقوف على إشارات صاحبه على مفهوم القوة والضعف بكل مضامينها؛ إذ إنه لم يغفل هذين المفهومين عن حقيقة التعريف بها، فهما مفهومان متضادان عنده، وفي تعريفه لصفتي الجهر والهمس وإرجاعهما إلى مفهوم القوة والضعف ما يدلل الالتفات إلى هذين المفهومين، ويعتني البحث في بيان إشاراته، ومع شيء من التفصيل فيما يحقق المواءمة بما يناسب مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية.

وينقسم البحث على مبحث تمهيدي في التعريف بالقوة والضعف، والصفة ومفهومها عند غير علماء الأصوات، والقسم الآخر من البحث يقع على ثلاثة مباحث، وخاتمة:

---

(١) بهذا الاسم طبع الكتاب وهو من مؤلفات شمس الدين أحمد بن سليمان الحنفي المعروف بابن كمال باشا شيخ الإسلام الرومي الحنفي توفي سنة ٩٤٠ هـ كان جده من أمراء الدولة العثمانية واشتغل بالعلم وهو شاب وله مصنفات عديدة منها هذا الكتاب الذي ذكره إسماعيل باشا بعنوان (الفلاح في شرح المراح). هدية العارفين ١/ ١٤١-١٤٢ و تنظر ترجمته في شذرات الذهب ٨/ ٢٣٨-٢٣٩.



المبحث الأول:

في مفاهيم القوة والضعف ومصطلحاتها في صفات الأصوات ؛ لأنها في دلالتها المعجمية تدل على هذين المفهومين، وكذا وصفها في عملية النطق المحدثثة للصوت.

المبحث الثاني:

مفهوم القوة والضعف في الأصوات بين الوضوح السمعي وعملية النطق

المبحث الثالث:

في تطبيق مفهوم القوة والضعف في الظواهر الصوتية والإدغام نموذجاً لمعرفة مدى مراعاة مفهوم القوة والضعف فيه.

الخاتمة: بيّنت فيها أهم نتائج البحث.





د. عبد الكريم محمود علي خير الله مهدي جاسم

### المبحث التمهيدي

ما دام البحث في مفهوم صفات القوة والضعف في الأصوات كان حريّ بنا أن نخرج على بيان هذين المفهومين في المنظور اللغوي والثقافي، والتعريف بالصفة التي يكوّن مدار البحث في تحديد مفهوم القوة والضعف.

#### القوة لغة :

القوة: نقيض الضعف، وتطلق على الطاقة الواحدة أو الخصلة الواحدة من الحبل وهي مفهوم يوافق الشدة والصلابة، فيقال في الرجال الشديد القوي، وشيء شديد مشتد قوي واشتداده قوته وصلابته<sup>(١)</sup>.

ولم يكن للاصطلاح موضع قدم في تحديد تعريف خاص يحدد مفهوم القوة لاختلاف النظر فيها، من حيث العلوم التي تستعملها في مفاهيمها وبتفاوت مجالها المعرفي.

#### أما الضعف :

فإنه يدل على خلاف القوة، والضعفُ والضُّعْفُ في العقل والرأي، وقيل: الضُّعْفُ في الجسد؛ لأنَّ الضُّعْفَ بالكسر الزيادة أو المثل، وقيل: شعراً ضعيف أي عليل<sup>(٢)</sup>.

#### الصفة لغة :

((وصفك الشيء بحليته وبعته، ويقال للمهر إذا توجه لشيء من حسن السيرة: قد وصِف))<sup>(٣)</sup>، قال ابن منظور: (وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفةً: حَلَّاه)<sup>(٤)</sup>.

وورد في الصفة:

((وصِفْتُ الشيءَ وصفاً وصفةً... وأتَصَفَ الشيءَ أي صارَ متواضعاً... وأما النحويون فلا يريدون بالصفة هذا؛ لأنَّ الصفةَ عندهم هي النعت))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر مختصر العين: ٣/٤٤٥، ومعجم مقاييس اللغة: ٥/٣٦، ولسان العرب: ١١/٣٦٣.

(٢) ينظر مختصر العين: ٣/١٧، والتهديب: ١/٤٨٢، ومعجم مقاييس اللغة: ٣/٣٦٢.

(٣) مختصر العين: ٤/٣٧٦.

(٤) لسان العرب: ١١/٢٧٢.

(٥) الصحاح: ٢/٢٧٥.



### الصفة اصطلاحاً:

((كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض))<sup>(١)</sup>.

وتواردت مفاهيم متعددة في مفهوم القوة والضعف في العلوم المختلفة، فهما عند أهل الفلسفة والمنطق مفاهيم تدل على ماهية الشيء أو ما يمثله، فهما من المقولات؛ لأن الأشياء عندهم إما تمثل بالفعل أو القوة.

والقوة والضعف عند الأصوليين يندرجان في مجال ترجيح الدليل، وعند أهل الحديث ما يرتبط بالسند الذي يقوم به الحديث النبوي.

وأما النحويون فقد عالجوا القوة والضعف في مفهوم الموقع للكلمة في التركيب من التقديم والتأخير أو الحذف وغيرها من هذه المسائل المرتبطة بالتركيب.

أما عند الأصواتيين فإن تعلق القوة والضعف مرتبط بصفات الأصوات، لما يعترض الهواء الخارج من الرئتين من تضيق وحبس وضغط، وكذا ما يرتبط به من وضوح أو ارتفاع أو انخفاض في السمع، فتارة نجد القوة والضعف في عملية أعضاء النطق، وأخرى في الوضوح أو الارتفاع والانخفاض السمعي. وهذا ما يتضح في ثنايا البحث.



(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣١٩.



## المبحث الأول مفاهيم القوة والضعف ومصطلحاتها في صفات الأصوات

تحدث علماء الأصوات عن نوعين من الصفات: صفات مميزة، وصفات محسنة، فالمميزة: هي تميز صوتاً عن آخر، والمحسنة: هي التي تحسن الصوت من دون تمييزه عن غيره. وذهب الرأي في المميزة: أنها تمثل ما يسمى حالياً بالفونيم، أما المحسنة: هي ما تجعل من الصوت ألفوناً من دون أن تخرجه من إطاره الفونيمي<sup>(١)</sup>. وظاهر العبارة الأخيرة أن إحالة الأصوات المميزة إلى الفونيم، والمحسنة إلى الألفون لا يحيلها إلى مفهوم القوة والضعف؛ لأن المميزة هي ما يجتمع فيها صفات دالة على القوة وأخرى دالة على الضعف.

\* فالصفات المميزة هي: الجهر والهمس والأطباق والرخاوة والتكرار والليننة وبين الشدة والرخاوة والهاوي.

\* أما الصفات المحسنة هي: القلقة والصفير والتفشي والاستطالة. وللتعرف على مفاهيم القوة والضعف في مجمل الأصوات المميزة والمحسنة، وما هي أسباب إنشاء القوة أو الضعف نعرض هذه الصفات عند ابن كمال باشا، وكيفية معرفة الإجراءات النطقية التي نسب إليها الصوت بالقوة أو الضعف:

### ١- الجهر:

عرّف ابن كمال باشا الأصوات المجهورة معللاً مع التعريف التسمية بقوله: ((هي الحروف التي لا يجري النفس معها ويحتبس عند النطق بها على خلاف المهموسة، وإنما سمّيت مجهورة لارتفاع الصوت بها وسبب ارتفاع الصوت بها كونها حروفاً اتسعت وقوي الاعتماد عليها في موضعها حتى بلغ الصوت أن تجهر معها لأنّ الجهر: الصوت المرتفع))<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر الصوتيات العربية: ٩٠.

(٢) فلاح شرح المراح: ١٠٩.



ونصّ ابن كمال باشا جامعاً بين التعليل لسبب التسمية والتعريف بالأصوات المجهورة، ولكنّه يصرح بدل إشباع الاعتماد بقوة الاعتماد، والتعريف بنصبيته فيه اقتباس ومشابهة لتعريف سيبويه (ت ١٨٠هـ) الذي عرّف المجهور بأنّه: ((حرفٌ أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت))<sup>(١)</sup>.

وقابل ابن كمال باشا في تعريف سيبويه (منع النفس) بـ (الاحتباس)، فاجتمع ما يسوغ القول بأنّ الأصوات المجهورة أنّها قوية (الاحتباس عند النطق)، و (قوة الاعتماد عليها في موضعها). وهذه العنوانات التي قابل بها عنوانات سيبويه، وإن كانت متشابهة لكنها تتسم بالوضوح والتصريح بجانب القوة في الأصوات المجهورة، فجعل منها تفسيراً لما ورد عند سيبويه.

وأقرب ما يكون تعريف ابن كمال باشا من تعريف مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) إذ عرّف المجهور بأنّه: ((حرفٌ قويٌّ يمنع النفس أن يجري معه عند النطق لقوته، وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه. وإنّما لُقّب هذا المعنى بالجهر؛ لأنّ الجهر: الصوت الشديد القوي، فلما كانت في خروجها كذلك، لُقبت به؛ لأنّ الصوت يجهر بها لقوتها))<sup>(٢)</sup>.

وظاهر ما يمكن ملاحظته عند ابن كمال باشا أنّه فسّر عبارة (اشبع الاعتماد) بـ (قوة الاعتماد)، بينما فسّر ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) الإشباع: بالاشتداد، فالصوت المجهور يشتد الاعتماد في موضعه<sup>(٣)</sup>. ونجد من المحدثين من فسّر الإشباع: بـ (الضغط)، وهو ما ذهب إليه الدكتور تمام حسان<sup>(٤)</sup>. فالقول بـ (الإشباع) أو (الاشتداد) أو (الضغط) فهو قول بقوة الصوت فضلاً على التصريح بقوته، وهو ما صرّح به ابن كمال باشا وغيره مثل مكّي، وابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

## ٢- الهمس:

عرّف ابن كمال باشا الأصوات المهموسة بأنّها: ((الحروف التي يجري النفس معها ولا يحتبس عند النطق بها، والمجهورة بخلافه وإنّما سمّيت مهموسة لأنّ الصوت بها ضعيف... وهذه الحروف

(١) الكتاب: ٤/ ٤٣٤.

(٢) الرعاية: ١١٧، وينظر التمهيد في علم التجويد: ٩٧ و ٩٨.

(٣) ينظر شرح المفصل ٥/ ٥٢٢.

(٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها: ٦١ و ٦٢.

ضعيف الاعتماد عليها في موضعها حتى جرى معها النفس))<sup>(١)</sup>.

وهذا التعريف جاء على شاكلة تعريف الجهر، ويفارقه بالمخالفة التي تجعل بين الجهر والهمس صفتين ضديتين ففيهما (لا يجري النفس) و (يجري)، و (يحتبس) و (لا يحتبس)، و (قوي الاعتماد في موضعه) و (ضعيف الاعتماد في موضعه)، و (الجهر الصوت المرتفع) و (الهمس الصوت الخفي) فكل ما في الهمس مخالف للجهر فهما صفتان ضديتان.

وتعريف ابن كمال باشا هذا ينحو نحو تعريف سيبويه إلا في شيء من التوضيح أو العبارة المستبدلة الدالة على شرح عبارة سيبويه أو التي تكون عوضاً عنها، إذ يعرف سيبويه الهمس بأنه ((حرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه))<sup>(٢)</sup>.

فابن كمال باشا أبدل صيغة (أضعف) وهي عند سيبويه بصيغة (ضعيف) أي (أفعل) بـ (فعل)، وما يمكن رؤيته أن ابن كمال باشا جعل من الصوت المهموس بهذه الصيغة ضعيف بذاته لا أنه يرجع إلى عملية النطق التي يتقصد بها الناطق في عدم الإشباع لأنه لا يحتاج إلى قوة الاعتماد؛ لأن ضعف الاعتماد وقوة الاعتدال يدلان كضابط يؤول إليه مفهوم القوة والضعف في الضغط والارتكاز بالكامل على أعضاء النطق لينتج الصوت.

والذي يبدو أن القول (أضعف) أتم من (ضعيف) ليدل أن الصوت يخضع لعملية نطقية لا أنه ينتج بذاته ضعيفاً أو قوياً، وعلى نص سيبويه في تعريف الهمس ذهب غيره من أن الهمس: صوت أضعف الاعتماد في موضعه<sup>(٣)</sup>.

ونجد تعريف ابن كمال باشا يقترب من تعريف مكّي بن أبي طالب القيسي في الهمس من التصريح بضعف الصوت المهموس وما أوضحه وفسره عن الأصوات المهموسة، وكذا حال التعريف عند ابن الجزري فإنه اقتبس من مكّي، لكن ابن الجزري أشار إلى جانبين من ضعف الصوت المهموس بقوله: ((إنه حرف جرى معه النفس عند النطق به لضعفه وضعف الاعتماد عليه عند خروجه))<sup>(٤)</sup>.

(١) فلاح شرح المراح: ١٠٨.

(٢) الكتاب: ٤/٤٣٤.

(٣) ينظر المقتضب: ١/٣٣١-٣٣٢. والأصول في النحو: ٣/٤٠٢، و سر صناعة الإعراب: ١/٧٥.

(٤) التمهيد في علم التجويد: ٩٧.



فقلوه: (لضعفه وضعف الاعتقاد عليه) إنَّ في الصوت جانبان من الضعف: الضعف الذاتي للصوت في قوله: (لضعفه) إن لم يكن التأويل هو الضعف في الوضوح السمعي، والضعف الثاني: ضعف الاعتقاد، وكأنَّ ضعف الاعتقاد شيءٌ آخر غير ضعفه الأول، وهذا ما نستطيع الإشارة إليه أنَّ ابن كمال باشا عبَّر عن ضعف الاعتقاد في الصوت المهموس بـ (ضعيف الاعتقاد) ولم يقل (أضعف) وكأنَّه ضعيف ذاتياً. وكذا الحال في الصوت المجهور عندما يقال فيه ((إنَّه قوي... لقوته وقوة الاعتقاد عليه))<sup>(١)</sup>.

وقد أرجع الدكتور خليل العطية مقياس القوة والضعف في الأصوات المجهورة والمهموسة إلى توتر الأوتار الصوتية وعدمها وأشار إلى ذلك في معرض حديثه عن علماء العربية، ومعرفتهم بالأوتار الصوتية من أنهم: ((في تحديد صفتي الجهر والهمس لم يكونوا على جهل بأهم ظاهرة في الصوت المجهور وهي صفة التمكّن والقوة التي تتأتى من توترهما عند التقائهما واستشعارهم هذا دليل واضح على معرفتهم بالظاهرة))<sup>(٢)</sup>.

والملاحظ أنَّ هذا التوصيف في تميز القوة والضعف في المجهور والمهموس غريب، ومن قال به فهو تميز لذات المجهور أو المهموس وليس تميز للقوة والضعف.

### ٣- المنخفضة:

لم يصرح ابن كمال باشا بقوة أو ضعف في صفات هذه الأصوات واكتفى بتعريفها، وذكر عددها وهي عنده ما عدا (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الخاء، الغين، والقاف)، والمنخفضة ((فهي ما لا يرتفع اللسان بها إلى الحنك فلا يحصل الانطباق، ولذلك سميت بها؛ لأنَّ اللسان لا يعلو بهنَّ))<sup>(٣)</sup>. وهذا التعريف هو إشارة سيويوه<sup>(٤)</sup>، وفسَّر مكِّي بن أبي طالب القيسي عدم الإطباق أنَّ النفس الذي عبَّر عنه بالريح لا ينحصر بين اللسان والحنك<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه: ٩٨.

(٢) في البحث الصوتي عند العرب: ٣١.

(٣) فلاح شرح المراح: ١١٢.

(٤) ينظر الكتاب: ٤/٤٣٦.

(٥) الرعاية: ١٢٣.



د. عبد الكريم محمود علي أخير الله مهدي جاسم

ويفسّر القرطبي (ت ٤٦١ هـ) أن المنفتحة تقابل المفخمة من الأصوات ويعدّ الانفتاح من صفات الضعف إذ وصفها بالريقة فبالانفتاح ((ينخفض اللسان حيثنذ، فلا ينحصر الصوت بينه وبين الحنك فتجيء الرّقة))<sup>(١)</sup>.

فالانفتاح صفة في الضعف ومرجع ذلك إلى أعضاء النطق، فالانطباق دلالة على الضغط والانحصار في النفس، وهذه دلالة القوة وبعكسها الضعف يدل عليه الانفتاح وهو عدم الانحصار<sup>(٢)</sup>. إنَّ عدم الانحصار هو الذي يجعل للصوت صفة الضعف، وابن كمال باشا لم يأت بشيء من ذلك إلا إعادة الصياغة التي كانت عند قبله من العلماء.

#### ٤ - المستعلية:

عرّفها ابن كمال باشا على نحو ما عرّف المنفتحة، فوصف عملية نطقها من دون التصريح بقوتها وهي عنده ((ما يرتفع اللسان إلى الحنك أطبقت أو لم تطبق... وإنّما سمّيت بذلك؛ لأن اللسان يعلو بها إلى الحنك))<sup>(٣)</sup>.

الكلام نفسه في المنفتحة الذي حدّدها بالضعف نلحظه في المستعلية لكنّها من صفات القوة فانحصار النفس هو الذي يحدّد قوتها.

والانحصار نجد مفهومه والتصريح به عند ابن كمال باشا في الأصوات المطبقة.

#### ٥ - المطبقة:

وعدها ابن كمال باشا أربعة أصوات وهي: (الصاد والضاد والطاء والظاء) وهي المستعلية نفسها من غير (القاف والحاء والغين)، وأشار إلى ذلك ابن كمال باشا بقوله: ((فيكون المستعلية أعم من المطبقة فكل مطبقة مستعلية بدون العكس))<sup>(٤)</sup>.

وأشار إلى تعريف المطبقة بقوله: ((هي التي ينطبق على مخرجه الحنك أي متى اعتمد اللسان على مخرج هذه الحروف انطبق عليه ما يجاذيه من الحنك الأعلى والتصق ظهر اللسان وانحصر بينهما

(١) الموضح: ٦١ وينظر علم الاصوات: ٤٩.

(٢) ينظر الكتاب: ٤/١٣٦.

(٣) فلاح شرح المراح: ١١٢.

(٤) المصدر نفسه.



الصوت))<sup>(١)</sup>.

والتعريف بسمته التفصيلية لم يصرح بقوة الأصوات المطبقة لكنها قوية بعملية الانحصار للصوت بين ظهر اللسان والحنك الأعلى والانحصار صفة لقوة الصوت ؛ لأنه مصاحب لكمية الهواء الخارج فاجتمع الاعتماد مع الإطباق.

#### ٦- الصفير:

عرض ابن كمال باشا التعريف بصفة الصفير عن طريق سبب تسميتها بقوله: ((وإنما سمّيت حروف الصفير ؛ لأن المتكلم يصفر عند اعتياده على موضعها))<sup>(٢)</sup>.

وأصوات الصفير هي (السين والزاي والصاد) وأشار ابن كمال باشا إلى إلحاق (الشين) معها، وأشار إلى عدم إدغام هذه الأصوات في غيرها بقوله: ((ومن قاعدتهم أنهم لم يدغموا الصفير في غيره لفوات الصفر منها))<sup>(٣)</sup>.

والصفير من صفات القوة عند مكّي بن أبي طالب القيسي إذ قال: ((وإنما سمّيت بحروف الصفير لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير، ففيهن قوة لأجل هذه الزيادة التي فيهن فالصفير من علامات قوة الحرف))<sup>(٤)</sup>.

وفي مقابل نسبة القوة إلى الصفير، فإن هناك من الرأي من يقيس نسبة رخاوة الصوت على قدر نسبة الصفير فيه، إذ تكون أكثر الأصوات رخاوة (السين والصاد والزاي) والرخاوة من صفات الضعف<sup>(٥)</sup>.

ولم يصرّح غير مكّي بن أبي طالب ممن سبقه بقوة صفة الصفير، وقد اكتفى غيره في تعريفها ولكن توحي جميع التعريفات إلى قوة صفة الصفير، فأشار المبرّد (ت ٢٨٥هـ) إلى أنّ ((من طرف اللسان

(١) المصدر نفسه: ١١١ و ١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١٠.

(٣) فلاح شرح المراح: ١١٠.

(٤) الرعاية: ١٢٤. وينظر التمهيد: ١٠٠ و ١٠١.

(٥) ينظر دلالات أصوات اللين في العربية: ٤٣.



د. عبد الكريم محمود علي أخير الله مهدي جاسم

وملتقى حروف الثنايا حروف الصفير، وهي حروف تنسل انسلالا، وهي السين والصاد والزاي<sup>(١)</sup>. والانسلال هو ((المضي والخروج من بين مضيق أو زحام))<sup>(٢)</sup>، وتوحي دلالة الانسلال المعجمية إلى مفهوم القوة، إذ تخرج هذه الأصوات من مكان ضيق بقوة وهي ما يستدعي اندفاعها مع الضغط.

ولذا نجد اقتراب التعريف للصفير إلى إحالة إلى الضغط عند ابن الطحان (ت حوالي ٥٦٠ هـ) إذ قال: ((والصفير حدّة الصوت، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب))<sup>(٣)</sup>.

والحدّة تدل على القوة، وكذا الضغط فصفة الصفير في الصوت تخرج بقوة، وفي تعريفها بالصوت يدل على قوتها فالقول بأنها ((صوت يصحب هذه الأحرف يشبه صفير الطائر))<sup>(٤)</sup>. وفي وصف الصفير بالصوت يجعله يشابه للقلقلة بوصفها بالصوت، والقلقلة من صفات القوة؛ لأنها مفاد الضغط والكلفة والجهد العضلي.

وفي ضوء هذا فإن عدم التصريح بقوة صفة الصفير لا ينفي عنها القوة؛ لأنّ أو صاف (الانسلال، والحدّة، والصوت) دلائل على قوة الصفير إذ القوة في غالبها ناتجة من الضغط على أعضاء النطق بارتفاع أو انطباق طرف اللسان ووسطه ومؤخرته.

وابن كمال باشا لم يصرح بصفة القوة للصفير وأشار إلى أنّها فضيلة في الصوت<sup>(٥)</sup>. إذن: الصفير صفة محسنة لا مميزة.

وهذه جلة الصفات التي عرضها ابن كمال باشا مع تعريفاتها أو سبب تسميتها، وأعرض عن بيان الصفات الأخرى تقيداً منه بإعادة الكتاب الذي شرحه وهو (شرح المراح) ولكنه لم يترك عرضها بأسماؤها فقط سواء أكانت مميزة أم محسنة، ومن الصفات التي عرضها: الرخوة، والشدة، والخفة،

(١) المقتضب: ١/ ١٩٣.

(٢) مختصر معجم العين: ٢/ ٢٦٧.

(٣) مرشد القارئ: ٤٧.

(٤) شرح الواضحة: ٣٦.

(٥) فلاح شرح المراح: ١١٠.



واللين، والنفش، والغنة<sup>(١)</sup>.

فمفهوم القوة والضعف عند ابن كمال باشا في عرضه للصفات يصرح بقوة المجهورة وضعف المهموسة إسماعاً ونطقاً لكنه لم يصرح بالصفات الأخرى.



## المبحث الثاني مفهوم القوة والضعف في الأصوات بين الوضوح السمعي وعملية النطق

لا بد من أن مفهوم القوة والضعف في الأصوات ترافقه مفاهيم من قبيله حتى يصح الوصف بأنها قوية أو ضعيفة.

فهناك صفات ذكرت غير الصفات المميزة والمحسنة مثل: (الكزازة، الاعتياص، العريكة، الهتة، البحة، النصاعة، الخفيف، الثقيل، التهوع) كما سماه ابن كمال باشا مع أن الأصوات لم توصف بها ووصفت بغيرها من المحسنة أو المميزة ومن ثم يطلق عليها إما قوية أو ضعيفة. وقبل الخوض في تفاصيل المبحث نضع أنفسنا أمام بعض الأسئلة:

١- هل الصوت القوي هو قوي سمعياً، أو كما عبر بعضهم أنه الصوت العالي نسبياً؟ (٢) وكذا الحال في الصوت الضعيف.

٢- هل الصوت القوي أو الضعيف ترجع صفته إلى الكلفة أو الجهد العضلي النطقي؟

٣- هل أن الصوت القوي أو الضعيف بمجموع الصفات المنسوبة إليه، فكلما كانت الصفات القوية أكثر كان الصوت قوياً أو بالعكس، أو أن هناك صفة فاصلة هي التي يحكم بها على قوة

(١) ينظر المصدر نفسه: ١٠٦ و ١١٠.

(٢) ينظر فلاح شرح المراح: ١٠٧.



٤- هل هناك ملازمة بين الوضع أو الارتفاع السمعي والجهد والكلفة النطقية فكلما كان الصوت قويا سمعيا كان قويا في الجهد والكلفة النطقية؟

٥- هل أن قوة الأصوات وضعفها ترجع لمعيار ذاتي فيها فهي قوية أو ضعيفة مطلقا في الأحوال كلها، أو أنها تحول من الضعيفة إلى القوية كتحويل المهموس إلى المجهور؟

٦- هل أن التغيير للأصوات في المظاهر مثل الإدغام والإعلال يرجع إلى قوة الإسراع أو ضعفه، أو أنه يرجع إلى الجهد والكلفة النطقية؟

ومجموع هذه الأسئلة هي ما تكوّن مضامين البحث.

فلو تتبعنا تعريفات الجهر والهمس عند ابن كمال باشا نجد مضامين القوة والضعف السمعين وكذا النطقيين: ففي تعريف الجهر قال: ((... كونها حروفا اتسعت وقوي الاعتماد عليها في موضعها حتى بلغ الصوت أن تجهر معها؛ لأن الجهر الصوت المرتفع))<sup>(١)</sup>.

وفي ضوء هذا فإن الصوت المجهور صوت قوي والقوة المراد بها الصوت العالي المرتفع، وهذا تصريح مكّي بن أبي طالب القيسي بقوله: ((وإنما لقب هذا المعنى بالجهر؛ لأن الجهر الصوت الشديد القوي فلما كانت في خروجها كذلك لقبته به؛ لأن الصوت يجهر بها لقوتها))<sup>(٢)</sup>.

وهذا يكشف أن الصوت كلما كان قويا في اعتماده كان قويا في سمعه فالقوة النطقية تنتج صوتا مرتفعا.

ولعل مكّي بن أبي طالب القيسي يخرج بسبر متفرد عندما يجعل صفات الأصوات ذاتية فيها بقوله: ((وهذه الصفات والألقاب إنما هي طبائع في الحروف خلقها الله عز وجل على ذلك))<sup>(٣)</sup>.

لكن عندما نتتبع الصوت الذي يطلق عليه قويا مجهوراً لا نجد في بعضها إطلاق القوة فبعض الأصوات مع قوتها تجتمع معها صفات الضعف، وكذلك في بعض الأصوات فإنها توصف بالقوة السمعية، لكنها من جهة النطق أخف وأضعف من غيرها، ففي أصوات العلة بوصفها حروف

(١) فلاح شرح المراح ١٠٩.

(٢) الرعاية: ١١٧.

(٣) المصدر نفسه: ١١٥.



زيادة نجد الوصف لها لقلّة الكلفة، قال ابن كمال باشا: ((وإنما اختصت الحروف العشرة بالزيادة دون غيرها؛ لأنّ أولى الحروف بالزيادة حروف المد واللين؛ لأنها أخف، وأقلها كلفة لكثرة دورها في الكلام واعتياد الألسنة لها، وأما قول النحاة الواو والياء ثقيلتان بالنسبة إلى الألف، وأما السبعة الباقية فشبهت بها، أو مشبهة بالمشبهة بها، فالهمزة تشبه الألف في المخرج وتنقلب إلى حرف اللين عند التخفيف))<sup>(١)</sup>.

ففي هذا النص تتضح لنا الأمور الآتية:

١. تعليل الخفة لقلّة الكلفة، والكلفة غاية نطقية تحدثها أعضاء النطق من كمية الهواء الخارج من الرئتين، أو كما عبر عنها من الصدر<sup>(٢)</sup> وعملية المشاركة لأعضاء النطق لإنتاج هذا الهواء الخارج صوتاً، وهذا المفهوم يمنع الملازمة بين القوة النطقية (الجهد والكلفة) مع القوة السمعية، ولذا نجد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) ينعت أصوات العلة بأقوى حالاتها بالضعف ((ولو لم يعلم تمكن هذه الحروف في الضعف إلا بتسميتهم إيّاها حروف العلة لكان كافياً، وذلك أنها في أقوى أحوالها ضعيفة))<sup>(٣)</sup>.

نجد ابن كمال باشا يصفها في موضع آخر (أي حروف اللين) بأنّها لا تناز بالكلية وضغط اللسان إذ يقول عن الواو والياء ((تسمى كل واحد منهما حرف لين أيضاً لما فيها من اللين لاتساع مخرجها؛ لأنّها تخرجان في لين من غير خشونة على اللسان))<sup>(٤)</sup>.

وعدم وجود الخشونة على اللسان إيحاء إلى عدم الكلفة؛ لأنّ اللسان إن لم يكن له نصيب مع كمية الهواء الخارج مع الصدر قلّت الكلفة والقوة في الجهد العضلي.

وهذه الأصوات (الألف، الواو، والياء) هي كما وصفها سيبويه أكثر اتساعاً من غيرها وهي أصوات هوائية متسعة مخرجها لهواء الصوت؛ ولذا عدّها الخليل (ت ١٧٠هـ) أن لا حيّز لها<sup>(٥)</sup>

(١) فلاح شرح المراح: ٦٠-٦١.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب: ٢٥٩/٣.

(٣) الخصائص: ١٢٩/٣.

(٤) فلاح شرح المراح: ١٢٤.

(٥) ينظر العين: ٥٧/١.



د. عبد الكريم محمود علي أخير الله مهدي جاسم

فيصنفها سيبويه بقوله: ((وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها))<sup>(١)</sup>.

والخفاء من صفات الضعف لا القوة، ومع ذلك نجدها أكثر الأصوات استعمالاً للتنبية ولا يكاد أسلوب النداء لا يقتصر إلا عليها لما لها من ((قوة إسماع عالية تفوق غيرها من أصوات اللغة))<sup>(٢)</sup>.

والذي يبدو أن نكتة قوة الإسماع تعود إلى مفهوم الاتساع في الأصوات؛ لأن الأصوات جميعها تتفاوت في الاتساع، ولو تأملنا قليلاً لوجدنا في عبارات سيبويه أن هذا المفهوم مترسخ عنده، إذ قاس جميع الأصوات به يقول في الأصوات اللينة: ((وهي الواو والياء؛ لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما))<sup>(٣)</sup>، فإتساع الواو والياء في مخرجها أشد من باقي الحروف فهو يتبع كلامه عن الحرف الهاوي وهو الألف، فيقول فيه ((وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجاً أشد من اتساع مخرج الياء والواو))<sup>(٤)</sup>.

فالإتساع في المخرج صفة تتفاوت فيها الأصوات جميعاً؛ ولذا نجد ابن كمال باشا قد أضاف مفهوم الاتساع إلى الأصوات المجهورة فقال: ((وسبب ارتفاع الصوت بها كونها حروفاً اتسعت وقوي الاعتماد في موضعها))<sup>(٥)</sup> ولعل قوله (اتسعت) ينم عن التفاتة لمفهوم قوة الإسماع المتأتية من مفهوم الاتساع، أو لا ينم، لكن مفهوم سيبويه في الاتساع يجرنا إلى التفاتة أن وضوح وقوة الإسماع متأتية من مفهوم الاتساع.

٢. إن وجود التفاوت في صفات الأصوات بين وجود صفات قوة وصفات ضعف في الصوت ذاته، وكذا عدم وجود كلفة في بعضها لا يدل على أن الصفة ذاتية في الصوت على نحو ما أشار إليه مكّي بن أبي طالب ((أنها طبائع في الحروف خلقها الله))<sup>(٦)</sup>.

(١) الكتاب: ٤/ ٤٣٦.

(٢) مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية: ٩٦.

(٣) الكتاب: ٤/ ٤٣٥.

(٤) المصدر نفسه: ٤/ ٤٣٥ و ٤٣٦.

(٥) فلاح شرح المراح: ١٠٩.

(٦) الرعاية: ١١٥.



ولكن قد يفهم من الهمزة الذاتية لقوتها التي تتميز بها، فعبر عنها الخليل أنها ((من أقصى الحلق مهتوته مضغوطة))<sup>(١)</sup>، وعرفها سيبويه ((نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا فتقل عليهم ذلك ؛ لأنه كالتهوع))<sup>(٢)</sup>.

ولذا علل ابن كمال باشا قوة الهمزة (لقوة عريكتها)، ((أي لقوة طبيعة الهمزة))<sup>(٣)</sup>، ومع ذلك يمكن تخفيف الهمزة ولا تبقى محافظة على هذه الطبيعة، لأنها تكون بين بين ؛ ولذا كان تعليل قوتها ((أن الهمزة لم تكن متحركة بحركة غيرها فيها منطوقة مفردة وبذاتها لأنها بين بين فيقسم نطقها بين الألف أو الواو أو الياء))<sup>(٤)</sup>.

وفي ضوء ما مر فإن الأصوات المجهورة تكتسب قوتها من كمية الهواء الخارج لا من قوة الإسماع أو الوضوح السمعي، بل إن الوضوح السمعي صفة ملازمة لا محدثة لقوة الصوت، لذا نجد أنفسنا أمام رأي الرضي (ت ٦٨٦ هـ) آخذين به حين ميّز بين الأصوات المجهورة أن أصواتها تخرج من الصدر والمهموسة تخرج أصواتها من الفم وهو ما علل بقوة الاندفاع<sup>(٥)</sup>.

فمفهوم خروج الأصوات المجهورة من الصدر ووصفها بقوة الاندفاع هو ما يفسر تفاوت الاتساع فيما بين الأصوات، لأن في بعضها (وهو الغالب) يكون للسان حظ في تحديد صفاتها فتنسب إليها الصفات الأخر غير الجهر، لأن اللسان لا يرجع إليه تحديد صفة الجهر والهمس بل صفات القوة والضعف من الشدة والرخاوة والصفير وغيرها ولذا نجد انتفاء الكلفة عن اللسان في أصوات اللين ((إذ لا يعتمد اللسان عند النطق بها على موضع من الفم))<sup>(٦)</sup>.

وفي ضوء الوضوح السمعي ذهب بعض المحدثين إلى أن الأصوات المجهورة لا يتم نطقها الصحيح إلا بارتفاع الصوت ف ((الدال والزاي مثلا لا يمكن نطقها الواضح المتميز بصوت

(١) العين: ٥٢/١.

(٢) الكتاب: ٥٤٨/٣.

(٣) فلاح شرح المراح: ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) شرح الرضي: ٢٥٨/٢ و ٢٥٩، وينظر الأصوات اللغوية: ٥٥.

(٦) الرعاية: ١٢٧.



د. عبد الكريم محمود علي أخير الله مهدي جاسم

خفيض فإذا حاول الإنسان نطق الدال بصوت خفيض فإنه لا يستطيع نطقها دالاً بل هي تاء<sup>(١)</sup>، ذلك كله يعود إلى كمية الهواء الخارجة من الصدر؛ لأنّ الدال مجهورة مخرجها من الصدر، والتاء مهموسة مخرجها من الفم.

ويمكن توجيه القول في تدخل الوترين الصوتيين في قوة الأصوات من جهة السمع على ما ذهب إليه الدكتور خليل العطية، بأنّه قوة وضوح سمعي ((فالأصوات المجهورة أكثر وضوحاً في السمع بسبب ذلك التفخيم الذي يحدثه الوتران الصوتيان))<sup>(٢)</sup>.

فالجهر صفة للقوة متأتية من كمية الهواء الخارجة من الصدر فمن الأصوات ما تخلص قوتها بها ومنها ما تقوى بها وباعتراضات أعضاء النطق وبخاصة اللسان فتتعدد الصفات وتتفاوت على ذلك فتظل المجهورة قوية حتى لو لم يبق إلا هذه الصفة وهذا ظاهر في ترجيح قوة صوت على آخر فمثلاً:

العين: مجهورٌ - رخوٌ - مستعلٌ - مفخّمٌ.

الحاء: مهموسٌ - رخوٌ - مستعلٌ - مفخّمٌ.

فالعين أقوى من الحاء لجهريتها.

وفي ضوء ما مرّ فالجهر صفة للقوة والوضوح السمعي ملازم له؛ لأنه مصدر القوة فمصدرها خروجها من الصدر لا الفم. أمّا الهمس فأوضح ابن كمال باشا صفتة بقوله: ((... وإِنما سميت مهموسة؛ لأنّ الصوت بها ضعيف إذ الهمس هو الصوت الخفي قال الله تعالى «فلا تسمعُ إلا همساً»<sup>(٣)</sup>).

وما لاحظناه في تفصيل الجهر نلاحظه في الهمس من الوضوح السمعي والعملية النطقية من كمية الهواء، واشتراك أعضاء النطق لكن الهمس ضعيف في مقابل الجهر، ولو لم يبق إلا الهمس في الصوت لدلّ على ضعفه كالذي لاحظناه في صوتي (العين والحاء).

وظاهر القول أنّ دلالة الجهر على الصوت المرتفع، والهمس على الصوت الخفي أو المنخفض

(١) مدخل إلى علم اللغة: ٥٢.

(٢) دلالات أصوات اللين في العربية: ٤١.

(٣) فلاح شرح المراح: ١٠٨، والنص القرآني من الآية ١٠٨ سورة طه.



أخذت من المعنى المعجمي، فالصوت المجهور، أي العالي<sup>(١)</sup>، أما المهموس ((يدل على خفاء صوت وحس، منه الهمس: الصوت الخفي))<sup>(٢)</sup>.

ورد في معجم العين ما يفسر الهمس صوتياً كعملية نطقية توضح الدقة في معناه فالهمس ((حس الصوت في الفم مما لا اشراب له من صوت الصدر، ولا جهازة في النطق لكنه كلام مهموس في الفم كالسر))<sup>(٣)</sup>.

وظاهر هذا التعريف أنّ الرضي الاستراباذي قد أفاد منه في تعريف الأصوات المجهورة أنّ أصواتها من الصدر والمهموسة من الفم، وتكشف هذه النصوص عن ماهية الجهر هو علو وارتفاع في الصوت، وأنّ الهمس الصوت المنخفض أو الخفي، وهل أنّ هذا الخفاء والانخفاض في الصوت ملازم لخفة أعضاء النطق، فكلمة كانت الأصوات مهموسة فلا كلفة ولا جهد يوازي خفض الصوت، وهل خفض الصوت هو عدم الاستطاعة في رفع الصوت، أو أنّ ارتفاع الصوت أو خفضه يراد به درجة الوضوح السمعي، وهذا ما دفع بعض الباحثين المحدثين يركز فهمه في منحين:

١- الصوت المجهور لا يمكن خفضه ولو أخفض لظهر صوتاً آخر.

٢- أنّ الارتفاع والانخفاض يراد به الوضوح السمعي فيكون مفهوم القوة والضعف في منحين:

القوة هي الوضوح السمعي والضعف هو المشوش كما عبّر بعضهم، وسيوضح بالبحث. القوة الارتفاع والضعف الانخفاض في الصوت.

فما جاء في النقطة الأولى من عدم إمكان خفض الصوت المجهور، ولو خفض لظهر صوتاً آخر مثل الطاء إذا خفض بها الصوت، ولم تظهر بصوت عالٍ نسبياً لظهرت تاء، وهذا ما أوضحه الدكتور محمود فهمي حجازي<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر مختصر معجم العين: ٢٦٩/١، ومعجم مقاييس اللغة: ٤٨٧/١.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٦٦/٦.

(٣) مختصر معجم العين: ٣٢٢/٤.

(٤) مدخل إلى علم اللغة: ٥٢.



د. عبد الكريم محمود علي أخير الله مهدي جاسم

ولكن ذلك مردود ؛ لأن إرادة عدم إمكان خفض الصوت فيه مع تكراره وهذا ما أوضحه سيوييه، وفصّل فيه القول الدكتور حسام النعيمي<sup>(١)</sup>.

وأوضح القول وأكثره قبولاً عندما نقول إنّ المراد بقوة الصوت مع جهره هو إرادة الوضوح السمعي إذ أن لمفهوم الاتساع ما يحقق هذا الوضوح وكل ذلك يعود إلى إتساع ما يسمى بحجرة الفم أو حجرة الرنين فتضيق هذه الحجرة أو توسع فإن ((هناك مجموعة من العوامل التي تعمل على إنقاص طاقة الهواء وتؤثر في مدى قوة الوضوح السمعي))<sup>(٢)</sup>.

وهذه العوامل هي عوامل لإشراك أعضاء النطق في إنتاج الصوت ومنها الاحتكاك للسان في طرفه، وإطباقه مع الحنك وانحرافه، فهي عوامل تؤثر في قوة الصوت.

وفي ضوء هذا فقد يكون الصوت شديداً ولكن لا يكون واضحاً سمعياً مثل التاء مع شدتها، فهي أقل وضوحاً من الزاي مع كونها غير شديدة، وهذا راجع إلى الاتساع في حجرة الفم أو حجرة الرنين<sup>(٣)</sup>.

وكل ذلك يرجع إلى إنقاص الطاقة من الهواء أو الكمية الخارجة مع اتساع حجرة الفم فالتاء مع شدتها لا تتسع فيها لحجرة الفم، فهي أقل طاقة لاستيعاب كمية الهواء ومع ذلك تعترضه عوامل تعمل على إنقاص طاقة الهواء فيقل معه الوضوح السمعي وهذا المعيار له أثره في تمييز الأصوات المتوسطة.



(١) ينظر الكتاب: ٤ / ٤٣٤، وأصوات العربية بين التحول والثبات: ٢٧ و ٢٨.

(٢) الأصوات اللغوية: ١٦٩.

(٣) ينظر المصدر نفسه: ١٧٠-١٧٩.



## المبحث الثالث تطبيق مفهوم القوة والضعف في الظواهر الصوتية

من الظواهر الصوتية الإدغام والإعلال والإبدال، وهذه الظواهر وإن كان يراعى فيها مفاهيم الرجوع إلى الأصل وغرض الخفة، وتحقيق التجانس أو الانسجام الصوتي، لكن مفهوم القوة والضعف لا يغيب عنها فهو السبب الذي يسوغ إحداث الإدغام والإعلال والإبدال. ما نعرضه في هذا المبحث هو ظاهرة الإدغام وما مدى مراعاة مفهوم القوة والضعف فيها. وقبل الإشارة إلى بعض مواضع التطبيق في مظاهر الإدغام نشير إلى بعض الأمور التي يركز عليها أساس البحث:

١. الإدغام إبدال حرف مكان حرف آخر وإدخال المبدل في المبدل منه، فما هو الصوت الذي يُبدل ويدخل في الآخر هل هو الأقوى أو الأضعف؟  
٢. هل الإدغام حاصل لقوة الأصوات فيكون طلب الخفة في تحويلها إلى أصوات خفيفة في نطقها؟

٣. إذا كان الغرض من الإدغام هو الانسجام الصوتي فهل طلب الخفة لذات الحرف أو للسلسلة الكلامية.

لا بدّ من أن الإدغام حاصل حين يكون هناك صوت ضعيف والآخر قوي فـ ((يؤثر صوت في آخر، فإنّ الأضعف بموقعه وبصفاته أو بامتداده النطقي هو الذي يكون عرضه للتأثير بالآخر))<sup>(١)</sup>. وعلى مبدأ القوة والضعف في الأصوات قامت ظاهرة الإدغام وهي في غالبها قائمة على التغليب للأقوى مع موقعه وهو المتأخر فيجتمع في الإدغام مبداء ان للتغليب الأقوى لصفته وموقعه، وهذا ما نلاحظه مثلا في تاء الافعال ((لضعف استدعاء المقدم الذي هو التاء (المؤخر) الذي هو عين الفعل

(١) دراسة الصوت اللغوي: ٣١٩.





د. عبد الكريم محمود علي أخير الله مهدي جاسم

ومعنى اقتضائه المؤخر أن يقتضي جعله مثل نفسه بقلبه إليه، وإنّما ضعف استدعاء التاء المتقدمة العين المتأخرة؛ لأنّ العين التاء زائدة والعين أصلية والأصلي قوي والزائد ضعيف فلو جعل العين المتأخرة تاء يصير القوي ضعيفاً وهو ضعيف ولو جعل التاء عيناً يصير الضعيف قوياً وهو قوي وليس جعل الضعيف قوياً جعل الخفيف ثقيلًا<sup>(١)</sup>.

وهذا يوضح ضعف الصوت من جهة موقعه، وكذا من جهة الأصالة والزيادة ومع ذلك يضم إليها الجانب النطقي من حيث القوة والضعف وهو جانب صوتي إذ يكون الغرض ((بقلب تاء الافتعال إلى ما بعدها للتجانس))<sup>(٢)</sup>.

والجانب الصوتي الآخر في قول ابن كمال باشا ((وليس جعل الضعيف قوياً جعل الخفيف ثقيلًا))<sup>(٣)</sup>، والخفة والثقل يعودان إلى التجانس الصوتي في الكلمة لا للحروف ذاتها؛ لأن الثقل لا يولد التجانس بين أصوات الكلمة. وهذا الثقل وعدم التجانس قد لا يعود لقوة الأصوات بل يعود للتقلبات الصوتية بين الاستعلاء والتسفل وهذا ما يحدث به الثقل فـ ((إذا وقعت تاء الافتعال بعد ثلاثة أحرف وهي الدال والذال والزاي تقلب دالا مهملة؛ لأن هذه الحروف الثلاثة مجهورة والتاء حرف مهموس وبين المهموس والمجهور تضاد والجمع بين المتضادين ثقيل فأراد التجانس بينهما وأبدلوا من مخرج التاء حرفاً مجهوراً وهو الدال المهملة))<sup>(٤)</sup>.

فإبدال المهموس بالمجهور هو إبدال الأقوى وإدغامه فيه، كما أن التاء في موقعها متقدمة والقوة للموقع المتأخر ((فالموقع القوي هو الشرط الأساسي للتأثير، ونعني بقوة الموقع: أن يكون الصوت متلوا بحركة غير قابلة للسقوط، أما لكونها طويلة، وإما لأن حركة سابقة عليها سقطت فامتنع اسقاط الأخرى، لأنّها تزداد تشبثاً بموقعها، وتمنح الصوت قبلها قوة موقعية، يفرض بها تأثيره على الصوت السابق عليه غير ذي الحركة))<sup>(٥)</sup>.

(١) فلاح شرح المراح: ١١٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٨.

(٥) المنهج الصوتي للبنية العربية: ٢٠٨.



فتعاور على إدغام المتقدم في المتأخر قوة الصوت وموقعها وقد تحرم هذه القاعدة فلا يعين الموقع على إدغام المتقدم في المتأخر بل بالعكس مع أن المتقدم مهموس والمتأخر مجهور ((فإنك تدغم الغين في الخاء لا شتراكهما في الرخاوة وأنه ليس بينهما إلا الهمس والجره، فتقول «اصبغ خلفاً» في قولك: «اصبغ خلفاً»... وتدغم الخاء في الغين فتقول: اسلغنمك تريد: اسلخ غنمك))<sup>(١)</sup>.

فادغم على غير قاعدته من الموقع والقوة فادغم المجهور في المهموس فإذا جاز الإدغام في الأصوات المميزة القوية والضعيفة لم يجز ذلك في الأصوات المحسنة لذهاب فضيلة هذه الصفات، كما أشار ابن كمال باشا إلا أن يكون من صنف صفته ((كالغنة والمدة والخفة وغير ذلك فيجب محافظتها فلو أدغم حرف ذو فضيلة في حرف ليس فيه تلك الفضيلة فاتت فضيلة الحرف الأول بسبب الإدغام وكانت ردية وأما إذا أدغم في مثله جاز لعدم فوات الفضيلة))<sup>(٢)</sup>.

وقد لا تكون المحافظة على فضيلة الصوت بل على الجهر في الصوت وهي صفة مميزة، ففي إدغام التاء في الدال بدلاً من إدغام الدال في التاء وذلك؛ لأنهم كرهوا أن يذهب منه الجهر فجعلوا في موضع التاء حرفاً من موضعها مجهوراً وهو الدال؛ لأن الحرف الذي قبلها مجهور ولم يجعلوا الطاء؛ لأن الطاء مع الجهر مطبقة<sup>(٣)</sup>.

والمحافظة على الجهرية مع مراعاة صوت الجهر الذي قبله هو لتحقيق الانسجام الصوتي؛ لأنه أرادة المحافظة على القوة في الصوت كون الجهر صفة للقوة، وقد يعود تقديم الصوتين المجهورين لقوة المتكلم نفسه ف ((إنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً وأظهر نشاطاً فقدم أثقل الحرفين))<sup>(٤)</sup>.

وإن كان ظاهر الكلام بعيداً عن مفهوم الغرض من الإدغام لكنه إرجاع إلى مفهوم القوة وارتباطها بالأصوات إذ أن الغرض من الإدغام ((اقتصار الجهد العضلي وتجنب العمليات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها وكذلك تجنب النطق بحرف واحد مرتين وهذا فيه ثقل للسان فلجأت

(١) المقتضب: ١/٣٤٤، وينظر فلاح شرح المراح: ١٠٧.

(٢) فلاح شرح المراح: ١١٠.

(٣) معاني القرآن للرفاء: ٣/١٠٧، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥/٧١، ومشكل إعراب القرآن: ٦٤٨.

(٤) الخصائص: ١/٥٥.

العربية إلى الإدغام من أجل الخفة التي هي جزء من الانسجام الصوتي))<sup>(١)</sup>. ويرجع ابن كمال باشا الإدغام إلى هذا الانسجام لما يتعلق بخفة النطق إذا ((العلّة في وجوبه أنك إذا قلت مدّ ونطقت بالحرفين دفعة واحدة كان أخف من قولك مدد بإظهار الحرفين... ولأن زمان الحركة بالحرف المدغم أقل من زمان الحركة بالحرفين المظهرين))<sup>(٢)</sup>.

وبالنظر إلى أن الإدغام قائم على مفهوم الانسجام الصوتي فإن مفهوم تغليب القوة يحدث سهولة نطقية في السلسلة الكلامية لا أنه يحدث سهولة أو تغييراً في نطق الحروف لذاتها فهو لا يغير من صفات الأصوات من شيء لأن الإدغام يفقد أحد الصوتين المتجاورين ((ملمحاً أو كثر من ملامحه ليتلاءم مع ملمح أو أكثر من ملامح الصوت الآخر))<sup>(٣)</sup>، فالإدغام في ضوء هذا ((ينقل الأضعف إلى الأقوى))<sup>(٤)</sup>.

وفي ضوء هذه القاعدة (نقل الأضعف إلى الأقوى) فإن الإدغام يكون بإدغام المهموس بالمجهور وليس العكس ((إذ حقيقة الإدغام ينافي إبقاء الأول على حال يخالف الثاني في الحقيقة))<sup>(٥)</sup>. فلا يدغم مجهور في مهموس إلا مواضع من المفردات، وفي مقابل هذا يدغم المجهور في المجهور وفي هذه الحالة من الإدغام يقوم الإدغام على مفهوم تغليب التفاوت بين عدد الصفات التي يتصف بها الصوت.

وفي إدغام المجهور في المجهور فإن في بعضه قد ينعدم مفهوم القوة ويكون قرب المخرج له الأثر في حصول الإدغام بين اللام والراء يكون ((لقرب المخرجين؛ ولأن فيهما انحرافاً نحو اللام قليلاً، وقاربتهما في طرف اللسان، وهما في الشدة وجزي الصوت سواءً، وليس بين مخرجيهما مخرج والإدغام أحسن))<sup>(٦)</sup> ولعل في صفة التكرار للراء ما يغلبها لقوتها على اللام فلم تقوَ عليها اللام

(١) أثر الانسجام الصوتي في البنية العربية: ٢١٠.

(٢) فلاح شرح المراح: ٩٩.

(٣) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية: ١٥١.

(٤) مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية: ١٣٥.

(٥) فلاح شرح المراح: ١٠٧.

(٦) الكتاب: ٤/٤٥٢.



فتدغم بها ولا يحدث العكس.

وإذا انعدم قرب المخرج وكان الحرفان من مخرج واحد فلا إدغام؛ لأنّ الإدغام تحول الصوت المدغم إلى صفة الصوت المدغم فيه؛ لأنهما في الأصل من رفعة واحدة وغرض الإدغام النطق برفعة بدل الرفعين وقد لا يحصل الإدغام بين مجهورين لفضيلة الصوت فلم يقوَ الصوت المجهور الآخر مع تفاوت قوة الصفة له وفَسَّر سيبويه فضيلة الصوت بأنها مانعة من الإدغام، بينما نجد ابن كمال باشا فسّر ذلك للمحافظة على فضيلة الصوت من دون أن يرجع أنّ عدم الإدغام سببه قوة فضيلة الصوت قال سيبويه: ((ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة، ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيء من المقاربة؛ لأن فيها لنا ومدا فلم تقوَ عليهما الجيم والباء))<sup>(١)</sup>.

وإن كان الظاهر مما يمكن قوله إنّ الجيم والياء متحدي المخرج، وكذا الواو والباء. ولكن سيبويه علل عدم الإدغام للمد واللين في الواو والياء.



(١) المصدر نفسه: ٤/٤٤٦.

## الخاتمة

يمكن الخروج إلى بعض النتائج التي تناسب مفهوم القوة والضعف من دون حصرها بإشارات ابن كمال باشا. فيمكن الإشارة إلى ما يأتي:

١. إن مفهوم القوة والضعف في الجهر والهمس كان في مطابقته لهما أن تحمل الجهر والهمس على الدلالة المعجمة على أن الجهر الصوت القوي والهمس الصوت الخفي أو الضعيف. فضلا عن الصفات الأخرى مثل الرخوة. ومن جهة أخرى فإن مطابقة القوة والضعف للأصوات العربية مأخوذة من عملية النطق المصاحبة للضغط في أعضاء النطق من اللسان والحناك ولا يخفى أثر الوترين الصوتيين والإشارة المعجمية هي إشارة ابن كمال باشا.

٢. على أساس القوة والضعف فإن أي صوت مهموس لا يطلق عليه صوت قوي مهما اجتمعت فيه صفات قوة؛ لأنه لا ملازمة في اجتماع صفات القوة مع الصوت المجهور أو الذي له درجة وضوح أعلى، وكذا في الأصوات الضعيفة وفي ضوء هذا يمكن أن تقسم الأصوات إلى قوية محضة وغير محضة والأصوات غير المحضة ما اجتمعت فيها صفات قوة وصفات ضعف والصفات المحضة ما اجتمعت فيها صفات قوة فقط أو ضعف فقط.

٣. التغليب هو العنصر الأساس في تحديد نوع الصفة من القوة أو الضعف فتجتمع في الصوت القوي صفة ضعف، وتجتمع في الصوت الضعيف صفة قوة.

٤. مبدأ الوضوح السمعي يرجع إلى ميزة رئيسية، وهي الاتساع لحجرة الفم أو ما يسمى الحجرة الرنينية فتكون المعادلة: كلما اتسع للصوت حجرة الفم كان الصوت أوضحها؛ ولذا كانت أصوات العلة أوضح الأصوات.

٥. لا ملازمة بين القوة النطقية والقوة السمعية؛ لأن مفهوم الوضوح السمعي أو القوة السمعية يعود إلى توظيف كمية الهواء الخارجة من الرئتين لتكوّن بكاملها الصوت؛ ولذا تعود قوة الأصوات المجهورة أن أصواتها من الصدر وضعف المهموسة أن أصواتها من الفم.



## مصادر البحث ومراجعته بعد القرآن الكريم

١. أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د. فدوى محمد حسان، ط/ الأولى، عالم الكتب الحديث، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٢. الأصوات اللغوية، د. سمير إستيتية، ط/ الأولى، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م.
٣. أصوات العربية بين التحول والثبات، د. حسام سعيد النعيمي، سلسلة بيت الحكمة، جامعة بغداد.
٤. الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحويّ البغداديّ ت ٣١٦هـ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، ط ٢، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م.
٥. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ ت ٣٩٢، تحقيق عليّ ذو الفقار، ط/ ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٦. التمهيد في علم التجويد لشمس الدين أبي الخير محمد بن الجزريّ المتوفى ت ٨٣٣هـ، تحقيق غانم قدوري الحمد، ط/ الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٧. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرّي، ت ٣٧٠هـ، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، (د، ت).
٨. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط/ الثانية / ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٩. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٠. دلالات أصوات اللين في العربية، د. كوليزار كااكل عزيز، ط/ الأولى، ٢٠٠٩م.
١١. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق د. احمد حسن فرحات، دار عمار، ط/ الثالثة، الأردن، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٢. سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جنيّ، ت ٣٩٢هـ، تحقيق د. حسن هندواوي، ط/



د. عبد الكريم محمود علي أخير الله مهدي جاسم

- الثانية، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحسين ابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٤. شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترابادي ت ٦٨٦ هـ، تحقيق محمد الزفزاف، دار الكتب العلمية بيروت.
١٥. شرح المفصل للزمخشري، لموفق الدين بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ط / الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
١٦. شرح الواضحة في تجويد سورة الفاتحة، للمراذبي ت ٤٧٩ هـ، تحقيق د. عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت.
١٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي إسمايل بن حماد الجوهري ت ٣٩٣ هـ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ٤، ١٩٩٠م.
١٨. الصوتيات العربية، د. منصور محمد الغامدي، مكتبة التوبة، ط الأولى ٢٠٠٠م.
١٩. علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي الموسوي، ط / الثالثة، دار الكتب العلمية، بغداد، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٧م.
٢٠. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، طبع بمطابع الرسالة، الكويت، ١٤٠٠هـ - ١٩١٨م.
٢١. فلاح شرح المراح، لابن كمال شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا، ت ٩٤٠ هـ، (د.ت).
٢٢. في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم عطية، منشورات دار الجاحظ، بغداد ١٩٨٣م.
٢٣. القراءات القرآنية بين العربية والأصول اللغوية، د. سمير شريف إستيتية، ط / الأولى، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٧م.
٢٤. الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت ١٨٠ هـ، تحقيق عبد السلام هارون، ط / ٥، الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٥. لسان العرب، لمحمد بن مكرم المعروف بابن منظور، ت ٧١١ هـ، ط / الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.



٢٦. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ط/ الرابعة، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢٧. مختصر العين مرتب على حروف المعجم، للزبيدي، تحقيق عبد الحميد هندراوي، ط / الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٨. مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.
٢٩. مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، لأبي الأصغ عبد العزيز بن علي بن محمد الأشبيلي (ابن الطحان) ت بعد ٥٦١ هـ تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مكتبة التابعين، القاهرة ط ١. ٢٠٠٧ م.
٣٠. مشكل إعراب القرآن، مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السّواس، دار اليمامة، دمشق - بيروت، ط ٢. ٢٠٠٠ م.
٣١. المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ت ٢٨٥ هـ، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمه، عالم الكتب.
٣٢. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥ هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجبل بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٣٣. معاني القرآن، لأبي زكريا بن زياد الفراء، ت ٢٠٧ هـ، ط/ الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٣٤. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ت ٣١١ هـ، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٤ م.
٣٥. مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، د. محمد يحيى سالم الجبوري، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ.
٣٦. المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
٣٧. الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦١ هـ) تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار عمار - عمان الاردن. ط ١. ٢٠٠٠ م.
٣٨. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي ت ١٣٣٩ هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان د ت.